قصة يوريواكا

The Story of Yuriwaka

ترجمها عن اليابانية

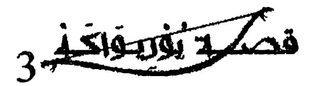
إريك وماساكو هاوغارد

رسومات:

بيرغيتا سافلوند

ترجمها عن الإنجليزية:

مؤمن الوزان



قصة يُوْرِيوَاكَهْ

The Story of Yuriwaka

الدار الليبرالية

إن الدار الليبرالية غير مسؤولة بشكل مباشر عن آراء الكتاب إنما تنشر ثقافة مفتوحة بحيادية، وكُل كتاب يعبر عن آراء مؤلفه وإن كنا لا ننشر إلا ما نحن مقتنعون بأهميته ثقافياً سواء وافقنا الكاتب أم لا.

نحن ملتزمون بقيم الحرية الفكرية بأعلى مستوياتها والاختلاف حالة طبيعية فلا نلزم أحد بقراءة منشوراتنا.



Deutschland – Berlin

Schlachthofstrasse 20

004917621419894

lllliberallabrary@gmail.com

شعارنا

حرية الاختيار تعني اختيار الحرية، فالحرية لا تختار إلا ذاتها.

تقديم المترجم

(يُرجى قراءة المقدمة بعد الانتهاء من قراءة القصة)

لا تكاد تتوقف عجلة الأوديســة عند موضــع معين حتى تستأنف دورانها في قرطاس الأدب العالمي، ما بين تأثير في آداب الأمم الأخرى، أو محاكاة لها، أو اقتفاء أثر ها واتباع هيكليتها وبنيويتها الموضـــوعية والفنيّة، أو إتمام مغامرات أوديسيوس، أو ترجمة جديدة لهذا الملحمة الإغريقية الخالدة.

برزت قيمة الأوديســـة في أول الأمر مع الإغريق الذين دونو ها بعد أن كانت ملحمة شـــعرية شـــفاهية ودرســـو ها وأصـــبحت معروفة لدى الجميع رغم صـــعوبة صـــياغتها وأســـلوبها واســـتخدام هوميروس كلماتٍ مهجورةً كما تبيَّن

لأولئك الإغريق الذين تلقفوها بعد قرون من نظمها، وكان لهوميروس الذي تُنسب إليه الملحمة مع سابقتها، الإلياذة، مقام رفيعٌ عند الإغريق فتنازعت الجزر على أصله وانتمائه إلى واحدة دون أخرى، ونحت لنفسه بملحمتيه الشعريتين عرشاً في مقدمة شعراء الملاحم والأدباء عبر التاريخ الإنساني.

من أوائل ملامح تأثير الأوديسة في الأدب العالمي، ما نراه في التشابه مع ملحمة الرامايانا الهندية، ثاني أهم عماد للأدب الهندي بعد ملحمة المهابهاراتا، والتي يعود تاريخها إلى القرن الخامس أو السادس قبل الميلاد، ورُويت شفاهية لذا فقد طالت أبياتها بالزيادة والنقصان، وبلغت أربعةً وعشرين ألف بيت مكتوباً موزعةً على أقسامٍ منفصلة.

وتحكي ملحمة الرامايانا مغامرات الإله الأمير راما في



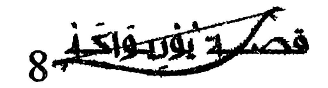
الغابة التي بدأها بعد نفيه من مملكة كوشـــال، مع زوجته، سيتا، وأخيه، لاكشمانا.

ونجد التشـــابه ما بين الملحمتين في مواضـــيع منها القوس (قوس راما وقوس أوديسـيوس في مسـابقة الزواج) والنفي (البحر في الأوديســـة، والغابة في الرامايانا) ووفاء الزوجتين (بينيلوبي وسيتا).

اســـتمرّ التـأثير الهوميروســـيّ في فرجيل وملحمـة اللاتين، الإنيادة، وكان اقتفاء فرجيلوس لخطى هوميروس في ملحمتيه واضـــحا، وأبرزُ تأثير للأوديســـة في الإنيادة يتمثل في رحلة البحر، التي مرّت بها ســـفن الطروادين الهاربة بعد سـقوط طروادة إلى الأرض الموعودة لتأسيس وطن جديد في لاتيوم - إيطـاليـا، بقيـادة البطـل الطـروادي آينياس، وما تعرضـــوا له في طريقهم إلى لاتيوم قد شـــابه

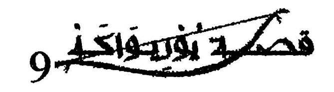
مغامرات أوديسيوس ومصاعبه إلى حد كبير تطابقاً أو ما اختلف على نحو يسير ملائما أحداث الإنيادة، وتوازي شخصيات الملحمتين، ودور الآلهة في رحلة العودة إلى إيثاكا ورحلة الوصول إلى لاتيوم، وكذلك التشابه في حكي بطلي الملحمتين ما وقع لهما ورفاقهما في البحر وجزره على مسامع ألكينوس وقومه وديدو وقومها، والحديث في الملحمتين يطول وليس هذا مقامه.

لم يكن أدبنا العربي في منأى عن التأثر بالأوديسة على الرغم أنه لا يوجد ما يُثبتُ أن العرب نقلوا قديما قصيدتي هوميروس الإلياذة والأوديسة، وما عرفوه عن الشاعر قليل جدا، ولم تنقل ملحمة الشاعر الأولى "الإلياذة" إلى العربية حتى بداية القرن العشرين بتعريب سليمان البستاني الذي يقول في تقديمه للإلياذة وسبب عدم نقل العرب لها:



"وإن لذلك أسباباً لو تبيَّناها زال العجب لإغفالها فيما سلف مع وضوح الحاجة الماسة إلى تعريبها في هذا العصر وإن مرجع تلك الأسباب إلى ثلاثة: الدين، وغلق فهم اليونانية على العرب، وعجز النقلة عن النظم الشعر العربي".

أما الأوديسة فهي لم تترجم إلى العربية ترجمة كاملة إلا في القرن العشرين عبر أمين سلامة، لكن ما يثير الشك حول معرفة العرب بالأوديسة قديما هو ما تكشفه بعض قصص ألف ليلة وليلة (تتراوح مدتها الزمنية ما بين القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وحتى القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي) وهي معرفة ليست سطحية أو عابرة لكنها معرفة متعمقة تصل إلى دراسة الأوديسة على نحو ينفي عدم معرفة من كتب هذه القصة بالأوديسة ورحلة عودة أوديسيوس إلى إيثاكا وتيهانه في



البحر وجزره وما واجهه في رحلته من مخاطر وغرائب المخلوقات، وكذلك معرفة لجغرافية جزيرة سيرسي وقصرها/ بيتها الذي يتوسط الجزيرة.

وأحصيتُ اثني عشر تشابها ما بين الأوديسة وألف ليلة وليلة موزعة في قصص: حاسب كريم الدين، جانشاه وبلوقيا، وجلناز وبدر سالم، قصة السندباد البحر (السفرة الثالثة).

ويبرز أهم تشابهات الواردة مع الأوديسة مواضيع منها: التيهان في البحر، مساعدةُ الملكِ للتائه في البحر، العودة إلى الوطن بعد الضياع في البحر، مسخ البشر إلى حيوانات، الملكة الساحرة (لاب وسيرسي)، بوليفيموس والعملاق الأسود.

أما أقصى آسيا، فهي الأخرى قد وصلت إليها الأوديسة، وتأثَّر الأدب الياباني الشعبي بها، عبر قصة يُوْرِيوَاكَهْ التي ترجمتُها عن الإنجليزية.

يعود تاريخ شيوع هذه الحكاية إلى القرن السادس عشر الميلادي في جزيرة كيوشو، ثالث أكبر جزر اليابان الخمس الرئيسة وتقع في أقصى الجنوب من بين الجزر الأربع الكبرى (باستثناء جزيرة أوكيناوا)، ويرتبط شيوع هذه القصة بالحملات التبشيرية الإنجليزية التي وصلت إلى جزيرة كيوشو في القرن السادس عشر. تختلف الآراء في ربط هذه القصة بالحملات التبشيرية، لكن ما هو أكيد أن نقل هذه القصة إلى خارج جزيرة كيوشو كان عبر العائدين من هذه الجزيرة.

ولا يهمنا كثيراً سواء أنَّ القصة نُقلت إلى جزيرة كيوشو عبر الحملات التبشـرية، الأمر الذي لا يبدو معقولاً إذ يُتوقَّع من المبشـرين أن يكرزوا بالإنجيل لا الأوديسـة ثم عادوا محمَّلين بها إلى أوروبا، أو أنَّ القصـة تأثرت بالأوديسـة التي وصلت إلى سكان جزيرة كيوشـو عبر مصـادر لا نعرفها، فإنَّ الأمر المهم من هذين الاحتمالين هو أننا نملك نصاً تراثيّاً شـعبيّاً يابانيّاً يحاكي الأوديسـة الإغريقية، وبطلها نظير لأوديسيوس، وقصته تشبه في نواحٍ كثيرة قصة أوديسيوس. لكن كعادة النصوص الأدبية المتأتية من التأثر بالأوديسـة فقد خرجت قصـة يُوْرِيوَاكَهْ وفقاً لآلية ثقافية خاصـة بمجتمع كيوشـو اليابانيّ، أضـفت على القصـة سـماتها الشـعبية والعقـائديـة والاجتمـاعيـة والثقـافيـة وحتى نظـام الحكم الإمبراطوري، ولم يغفل من ألَّف النص أو من تعاقبوا على

عملية التأليف الجماعي للقصة عن إضفاء لمسته الخاصة بأحداث أو شخصيات أو عناصر عملت على تقدم الحكاية والتأثير في أحداثها، وهو ما يثبت أنَّ قصة يُوْرِيوَاكَهْ ليست محاكاة سطحية مجرّدة من أي مزية إبداعية على العكس تماما، فالإبداع حاضر، والمحاكاة فحسب في الخطوط البنيويّة الرئيسة وهيكل القصة عموما.

فلدينا الأعداء الذين يرحل يُوْرِيوَاكَهْ لمحاربتهم والقضاء عليهم بأمر الإمبراطور ثم يخونه ضابطاه رغبة بالذهب والمجد والاستئثار بهما دونه ويتركانه وحيداً في جزيرة صغيرة وسط البحر المترامي الأطراف، الذي لا يقرُّ له قرار ولا يعرف مدياته بحَّار، كما ذهب أوديسيوس من أجل محاربة الطرواديين بأمر ملك الآخيين أجاممنون ثم تيهانه في رحلة العودة إلى إيثاكا التي تحكيها الأوديسة. ويسبغ

راوي قصة يُوْرِيوَاكَهْ على الأخير صفات الشجاعة والإقدام والولاء للإمبراطور والوفاء للزوجة والحيلة والذكاء ثم الانتقام من الأعداء، وهي سمات نجدها في أوديسيوس لكن ما يفضلُ به أوديسيوس يُوْرِيوَاكَهْ أنَّ الرواي لم يمنح يُوْرِيوَاكَهْ مزية الحكَّاء، فلا تكشف قصته أنه كان حكَّاء عارفاً بفنون القص والرواية على النقيض تماما من أوديسيوس الذي تميَّز بكونه حكَّاء مجيداً مُتقناً لفنون القص وأساليبه. قد يعود سبب عدم منح هذه السمة ليُوْرِيوَاكَهْ رغبة المؤلف/ آلية التأليف الجماعية حكي القصة على نحو مباشر تصاعديا دون الحاجة إلى تقسيمات الأصل الزمنية (إذا افترضنا أن ثمة معرفة سابقة لها) وقد يكون الأمر لا يعدو أكثر من كون هذه القصة شعبيةً لذا فهي تُحكى وتُتناقل شفاهياً بأيسر أسلوب ممكن وأوضحه حتى يسهُل حفظها.

وبما أننا نتحدث عن المزايا والفروق بين البطلين، فقد امتلك يُوْرِيوَاكَهْ طائراً يرافقه في موطنه وفي رحلاته الداخلية، وهذا الطائر هو طائر الباز، واسمه، ميدوري-مارو، الذي كان له دورٌ في القصة بإعلام زوجة يُوْرِيوَاكَهْ، السيدة كاسوجا، بأنَّ زوجها الحبيب، الذي أُشيعَ خبر موته على يد الأخوين بيبو اللذين خانا سيدهما وتركاه وحيدا، حيٌّ يرزق بعد أن أُلهم الطائر من الإله هاتشيمان أن يذهب إليه. (لا يرد في هذه النسخة الإنجليزية ذكرٌ لهذه الاستجابة من الإله هاتشيمان إذ كانت السيدة كاسوجا تتضرع إليه أن يردَّ زوجها إليها لكننا نعرف في هذه النسخة أن يُوْرِيوَاكَهْ قد ابتنى معبداً لهذا الإله وبقي يتضرَّع له ولكل الآلهة التي عرفها من أجل إنقاذه من هذه الجزيرة، الذي تمَّ في النهاية عن طريق الصيادَيْن، ونرى كيف وصل ميدوري-مارو إلى الجزيرة

دون أن نعرف الدافع أو المرسل له حتى يبدو الأمر تدخُّل الرواي أكثر من نتيجة تفاعل الأحداث وتداخلها التأثيري بعضها في بعض).

على أي حال، فلم يكن لميدوري-مارو دوراً في إنقاذ سيده سوى أنه ألقى السكينة على قلبي الزوجين بإيصال أثرٍ من كلا الزوجين إلى صاحبه، إذ يموت وهو يحاول أن يوصل أدوات الكتابة إلى يُوْرِيوَاكَهْ بعد أن بعثتها السيدة كاسوجا معه.

تمثُّل السيدة كاسوجا معادلا موضوعيا لبينيلوبي، زوجة أوديسيوس، من ناحية الوفاء والحب والانتظار، وإن بدت كاسوجا رغم ضآلة ما يرد في القصة عنها أكثرَ عقلا واتزاناً وسلوكاً من بينيلوبي التي قلّلت سنوات الانتظار العشرين من رجاحتها وسلوكياتها، ولا تبدو المقابلة هنا منطقية إذ

الاختلاف بين حالي الزوجتين، واختلاف المدة الزمنية في الانتظار، ومقام الزوجين إذ كان أوديسيوس ملك جزيرته في حين أن يُوْرِيوَاكَهْ هو ابن وزير الإمبراطور، لكن عموما فإن للسيدة كاسوجا فضلٌ بالعقل كما يتراءى لي على بينيلوبي. تعارض كاسوجا مثل بينيلوبي محاولات الزواج التي يُبديها الأخ تارو بيبو معها، لكنها تأبى رافضة مقرَّةً بحبها لزوجها يُوْرِيوَاكَهْ وأنها كانت وستبقى زوجته حتى يحبسها الأخير ويترك لها خادماً تقوم على أمر خدمتها.

تضمُّ قصة يُوْرِيوَاكَهْ شخصيتين رئيستين هما يُوْرِيوَاكَهْ وزوجه، السيدة كاسوجا، ويغيب المعادل الموضوعي لابن أوديسيوس، تيليماكوس. ويقوم الأخوان بيبو مقام الخطَّاب اللذين كانوا يضايقون بينيلوبي وتقدمهم لطلب يدها للزواج، إذ يقدم تارو، الذي شارك أخاه، حكم كيوشو إثر إشاعتهما

خبر موت يُوْرِيوَاكَـهْ، على عرض الزواج على السـيدة كاسوجا التي ترفض مراراً وتكراراً.

تبرز موضـوعة العودة إلى الوطن موضـوعاً رئيسـاً ومهما ويبزُّ بقية المواضـيع التي تتضـمنها قصـة يُوْرِيوَاكَهْ، لكنهـا عودة محفوفـة بـالمخـاطر لا تقل خطورتهـا عن عودة أوديسيوس إلى إيثاكا.

فبعد أن يصـل يُوْرِيوَاكَهْ إلى جزيرة كيوشـو يجد نفسـه أعزلَ من دون سـلاح، ولا رفقة تُعين، وزوجته محبوسـة، ويبرز هنا سـؤال لمَ لم يتوجَّه إلى الإمبراطور أو أبيه الوزير ليكشـف لهما حقيقة ما حدث له وخيانة الأخوين بيبو له، وهو سؤال يبدو منطقياً جداً وثغرة في بُنية أحداث القصة. لكننا إن عرفنا أنَّ القصـة تركِّز على مآثر يُوْرِيوَاكَهْ البطل وشـجاعته ستتبددُ أيُّ بواعث للشـك، فالبطل لا يحتاج إلى مسـاعدة ولا

يلوذ بأحدٍ إلا عند الضرورة القصوى، وما يؤكد هذا الاعتماد على النفس أنَّ القضية ليست قضية جماعة بل هي قضية فرد، تتمحور أولاً حول استعادة المنصب الذي كان يشغله فبأي وجه سيقابل يُوْرِيوَاكَهْ أهل جزيرته إن استعان بآخرين ليستردَّ ملكه، وهي استعانة ليست بالخاطئة، وكما يقول هوميروس في الأوديسة "عزّة النفس للمرء عند الحاجة ليست محمودة"، لكن من ألَّف هذه الحكاية أراد إبقاء البطولة كاملة ليُوْرِيوَاكَهْ وخالصة له دون الناس، والمحور الآخر وهو الأكثر فرديّة وخصوصية، وهو حبس زوجته، السيدة كاسوجا. انبغى على يُوْرِيوَاكَهْ أن ينقذ امرأته بنفسه فلا يرضى لشرفه أن يُثلم أو يُهان قبالة ناظريه وهو ساكت لا يقوى على الرد لذا فترقَّب الفرص حتى أتت تلك التي استطاع من خلالها المشاركة بمسابقة الرمي بالقوس والسهم وجاء انتقامه

لشـرفه وخيانة الأخوين بيبو كما فعل أوديسـيوس بعد عودته إلى إيثـاكـا وانتقـامـه من الخطَّـاب الـذين احلتوا بيتـه وبـددوا خيراته وضايقوا زوجته وتآمروا على قتل ابنه.

إنَّ حكاية يُوْرِيوَاكَهْ رغم تأثرها بالأوديسة واقتفائها أثر أوديسيوس الذي أصبحَ يُوْرِيوَاكَهْ فهي تبقى حكاية شعبية قصيرة، لا يمكن الاعتماد عليها كثيراً فنيّاً، وتقتصر قيمتها تقريباً على الجانب الشعبي والموضوعي وتاريخها القديم في وقتنا المعاصر، لكن هذا بعد كل شيء لا يقلل من قيمتها ولا يحطُّ من يُوْرِيوَاكَهْ وكفاحه من أجل نفسه وأهله وملكه.



في منتصف القرن السادس عشر، نزل أول الأوروبيين على جزيرة كيوشو في جنوبي اليابان .

ومن بين البحّارة الجريئين، والتجّار، والمبشّرين الذين

مخروا في مجاهيل البحار بلا خوف كان فرانسيس خافيير التابع

للأخوية اليسوعيّة .

جاء فرانسيس والمبشرون الآخرون ليكرزوا بالإنجيل،

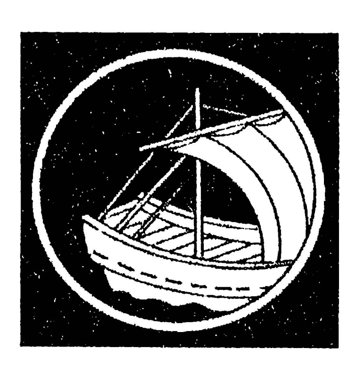
لكنهم عادوا حاملين معهم قصة من زمن بائد .

لكن أيُّ هؤلاء الرجال المقدَّسين أو المغامرين كان البادئ في

قص حكاية أوديسيوس على اليابانيين هذا ما لن نستطيع معرفته أبداً .

وسرعان ما تحولت أعظم قصة مغامرة في ثقافتنا الغربية إلى حكاية شعبيّة يابانية .

أُلبس أوديسيوس الكيمونو من قبل الحكَّاء الياباني، وعلى الرغم من احتفاظه بقوسه فإنه لم يُبقِ على اسمه .وأصبح اسم الأوديسة ...



قصة يُوريوَاكَا

الأوديسة اليابانية

حدثت الحكاية في قديم العصر والزمان .ولماذا في ذلك الزمن

العتيق، لأنه في الوقت الذي كان فيه أكبرُ أكبرُ أكبرُ أسلافك في مهده

فقد كانت الحكاية شائعة سلفاً، حتى شكَّ الناسُ فيها لو أنها قد

وقعت فعلاً .لكن ما من سبب واحد يدفع المرء ألا يصدق بوقوعها،

فقد تكون بكل ما فيها حقيقة تامة .

تقع في أقصى الجنوب جزيرة كيوشو، تحيطها المياه الزرقاء،

مثل لؤلؤة تتوسط ثوب حرير أزرق .وسيخبرك أيُّ عائدٍ من تلك

الجزيرة أنها الجزيرة الأجمل في كل اليابان، وحتى أولئك الذين لم



يزوروا سواها فهم على ثقةٍ من جمالها .لكن عندما جرت وقائع هذه

الحكاية لم تكن الجزيرة ذاك المكان السعيد للعيش .

لقد تعرّضت لغزو قراصنة مقاطعة شيراغي الذين نزلوا على

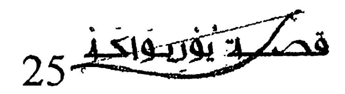
شواطئ الجزيرة ينهبون ويقتلون .

لم يُولِ هؤلاء الجنود الطامعون اكتراثاً برأس من يقطعون

بسيوفهم الحادة البتّارة .

وعندما حان أوان حصد الأرز وصلت القوارب من شيراغي

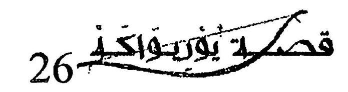
عابرة البحر ومطالبةً بالحبوب .

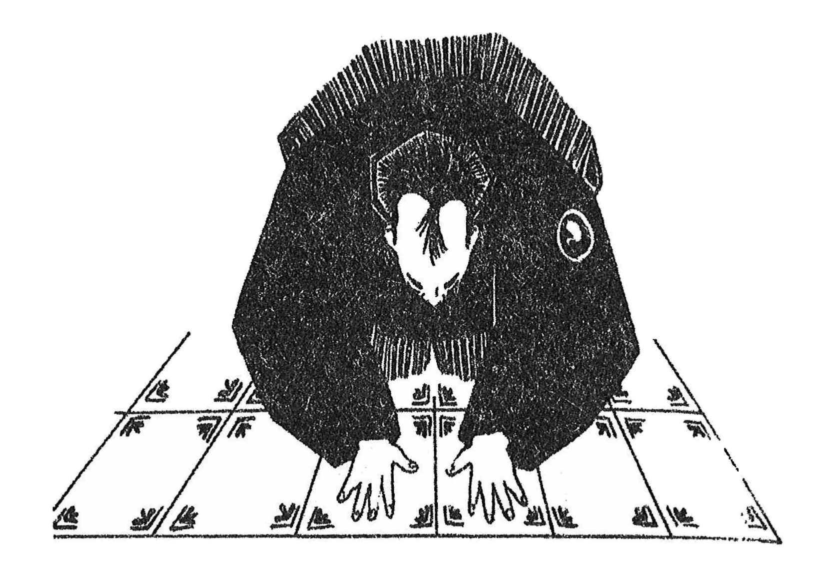


كان أهل الجزيرة الفقراء المنهوبين في يأس شديد لذا فقد أرسلوا برسالة إلى الإمبراطور يستجدونه عطفه وشفقته عليهم.

عاش الإمبراطور في ذلك الوقت في نارا، ولم يسمع إلا القلة عن قرية كيوتو .تستغرق الرحلة من جزيرة كيوشو إلى قصر الإمبراطور عدة أسابيع مشياً، وعندما وصل الرسول كان أشبه بمتسول قد يُرمى إليه بقطعة نحاسية.

كان الإمبراطور من الكرم والرحمة بمكان وسمح له بالمثول في قاعة قصره العظيمة .نزل الرسول على ركبته وسجد ستَّ مرات





تباعا ضارباً برأسه الأرض حتى خشيَ الإمبراطور أن يؤذي

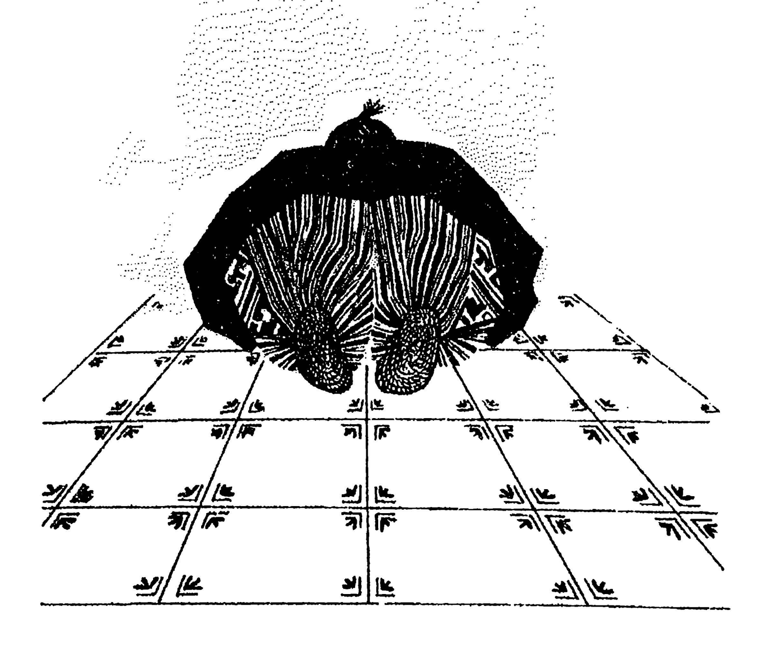
رأسَه ولن يتذكر ما قدِم لأجله.

لكنه أجاد الحديث، وعندما وصف ورطة أهل الجزيرة

المساكين؛ أجهش الجميع وبكوا، حتى طفرت دمعتان من عيني

وزير اليمين، في حدثٍ لم يرَه أحدٌ من قبل .سجد الرسول مجدداً

للإمبراطور بعدما أنهى كلامه وانتظر الإمبراطور أن يتحدث.



كان صمت الإمبراطور لسبب وجيه جداً لأنه لم يعرف ما

يقوله .نظر إلى وزير اليمين .كانت دموعه قد جفت بسرعة وهزَّ

رأسه فحسب .ثم التفت الإمبراطور إلى وزير اليسار، وقد تأثّر

بشدة ولَّما تزل وجنتاه مبللتين .كان من أهل كيوشو وامتلكَ فيها

حقول أرز يكلُّ العدُّ عنها حتى إنك لتهوي نائماً ليلاً قبل

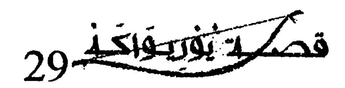
أن تحصيها .فوق ذلك، فقد كان وزير اليسار، وتقع الجزيرة في

جهة اليسار من الإمبراطور، وهي أثيرة عنده كما القلب في يسار

كل امرئ آخر .

أليس من الحكمة ‹سأل› أن ترسل أسطول سفن وجنود

ليؤدِّبوا أولئك، قُطَّاع الطرق، الشيراغيين، ويلقنوهم درسًا؟ ›



'هذا ما كنت أفكر به تماما' أجاب الإمبراطور، الذي لم يفكر بهذا بتاتاً .

'ابني' قال وزير اليسار ثم سكت بُرهة قبل أن يكمل 'يُوْرِيوَاكَهْ، يملك من مهارة القوس والسهم، حتى قيل إن الأشباح والشياطين تهابه .

فلو أعاره جلالة الإمبراطور ثلاث سفائن فأنا متأكد من أنه سيبلي بلاءً حسناً.

ثلاث سفائن ' !كرر الإمبراطور وحدقَّ ببصره وزير اليمين .

أصل هذا الوزير من مقاطعة قصيّة في الشمال ولم يكترث كثيراً

لكيوشو ولا لوزير اليسار، لذا فقد هزَّ رأسه مرة أخرى .

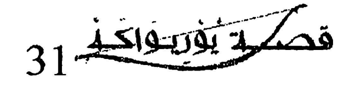
'ابنك ' نظر الإمبراطور إلى وزير اليسار الذي خفض رأسه

منحنياً وتبسَّم بخضوع ' بالتأكيد'.

نظرَ الإمبراطور إلى الأمام مباشرة نحو الرسول البائس وهو لا يزال

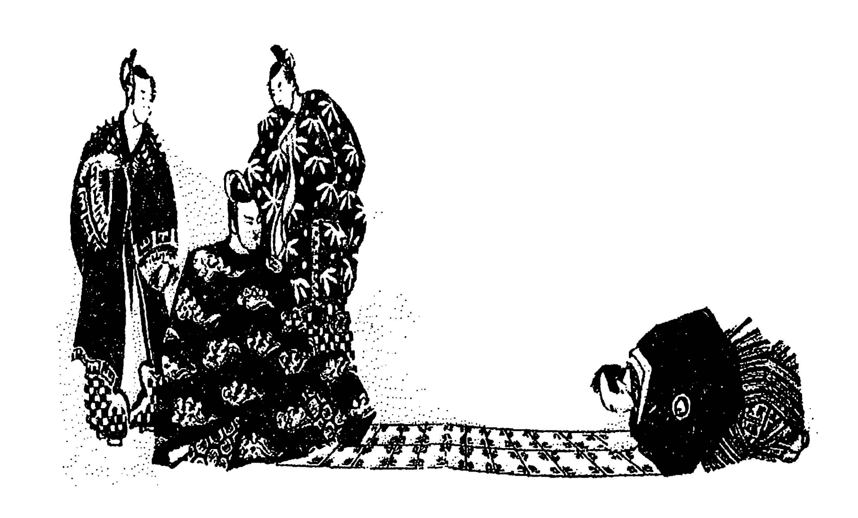
متمدداً على الأرض كما لو أنه قرر أن يصبح سجَّادة في القصر

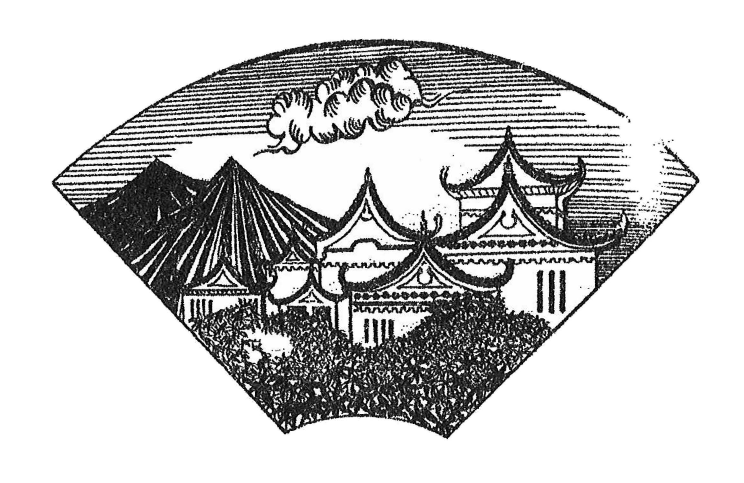
الإمبراطوري .



’سيحظى بالسفن ‘ أعلن الإمبراطور، وبحركة يسيرة من يده

صرفَ الجميع حتى يتمكَّن من شرب كوب الشاي في هدوء وسكينة.





تنتصب قلعة يُوْرِيوَاكَهْ في منطقة بونغو على جزيرة كيوشو .

كان يُوْرِيوَاكَهْ أقوى رجال اليابان، إن لم يكن العالم أجمع .ويتمتع بوسامة كما تمتعت بالحُسن زوجته، السيدة كاسوجا، التي أحبته حباً جماً حتى شغافها .

أحبَّ يُوْرِيوَاكَهْ الصيد ولم يكن ثمة ما يمتّعه مثل التجوال في الجبال مع بازه * المُحبب، ميدوري-مارو، واقفاً على كتفه وقوسه الحديديّ في يده.

-ليس بمقدور أيّ رجلٍ أن يثني قوسه ونادراً ما طاشت سهامه.

كان للتو قد وصل من رحلة صيد مائزة حين وصل الرسول الإمبراطوري ليطلعه على قرار الإمبراطور .

* طائر جارح من فصيلة البازيّات

‘جلالة الإمبراطور قد قرر معاقبة وإبادة سكّان شيراغي الذين غزوا أرضه المقدّسة’.

وببصيرته النافذة قد عيَّنك، يُوْرِيوَاكَهْ-سامهْ، لتكون مِضراب غضبه، وسلاحه القويم الذي سينتقم من الإهانات التي طالت شرفه السامي.

في الحقيقة لم يتفوه الإمبراطور بمثل هذا الكلام، فقد كان رجلاً ذا حديث مقتضب وليس من ذوي الإطناب والإسهاب.



لكن من يتولون صياغة خطابات جلالته الإمبراطورية

بإمكانهم أن يدبِّجوا مالئين لفافةً ذات طول ميل بأمرٍ أو نهي .

كانت كلمات الإمبراطور محددة ' أعطوا يُوْرِيوَاكَهْ السفن

وليعاقبهم .'

بلا أدنى شك فقد كان شرفا ليُوْرِيوَاكَهْ أن يصبحَ قائد السفن

الإمبراطورية التي تُبحر لمعاقبة قراصنة شيراغي، لكن زوجته، السيدة

كاسوجا، تمنَّت لو أن ذاك الشرف قد مُنحَ لشخصٍ آخر .

لقد عشقت زوجها وكانت واعية تماما بأنه مهما كان زوجها قوياً

وسهامه سريعة فإنَّ للقراصنة أقواسهم أيضاً وأسيافهم الحادَّة .لكنَّ

الأمر الإمبراطوريّ لا يُساءلُ بل يُطاع فحسب .

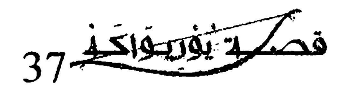
استغرق بعض الوقت تحضيرُ السفن حتى تجهزَ للإبحار،

وقرارُ يُوْرِيوَاكَهْ لاختيار من سيرافقه من بين أتباعه .اختار الأخوين

تارو وجيرو بيبو ليكونا ضابطيه المساعدين، وكان قد عرفهما منذ

كان طفلاً صغيراً، وظنَّهما مُخلصيْن، إذ دائما ما أشادا به مهما فعل أو

قال،لكن من العسير جداً أن تميَّز ما بين الإطراء والمُداهنة .



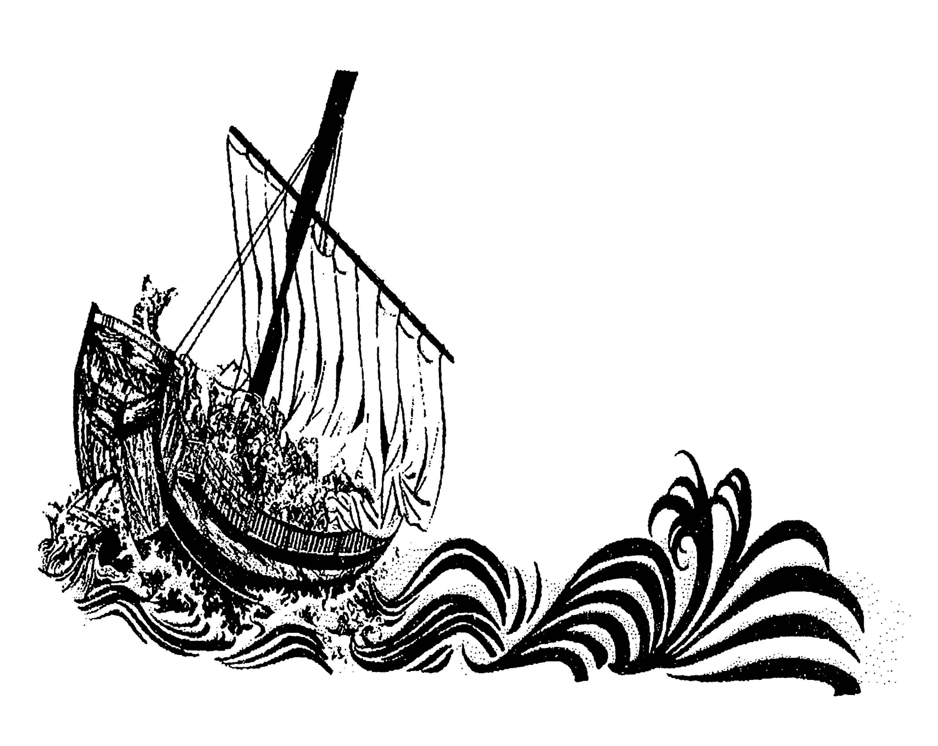
في آخر المطاف، أتى اليوم الذي كانت فيه السفن على وشك الإبحار، نزل جميع سكان بونغو إلى الميناء لمراقبة مغادرة السفن وليحيّوا البطل يُوْرِيوَاكَهْ ورجاله .

هطلت دموع بعض النسوّة اللائي كان رجالهن على متن السفن، لكن السيدة كاسوجا لم تسفح دمعة .

تمشّت بفخرٍ بجانب زوجها الذي وقف على كتفه الباز، ميدوري-مارو .وعندما وصلوا إلى السفينة سلَّم يُوْرِيوَاكَهْ الطائر

إلى زوجته وأخبره أن يحميها .رفع الباز رأسه وغقغق بشدةٍ، كما لو

أنه فهم أمرَ سيده، وقفزَ إلى كتف السيدة كاسوجا .



بقيت السيدة كاسوجا واقفة حتى ابتلع الأفق سفينة زوجها والسارية، ثم ترقرقت دمعتان على وجنتيها عندما استدارت وتمشَّت عائدة إلى الجزيرة .

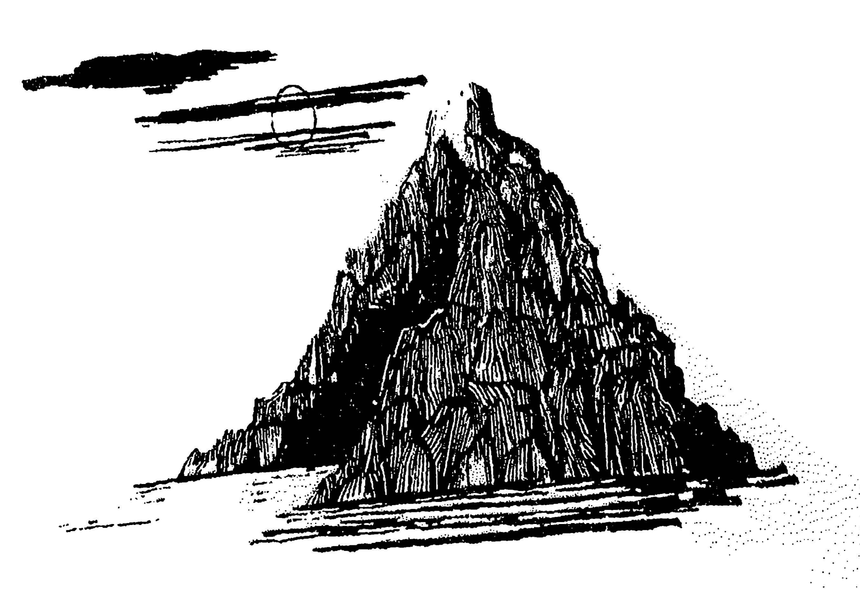
ذهبت النسوة الأخريات منذ وقت طويل .وأبانت تلك التي كانت أول المغادرين؛ تلك التي كانت أكثر الباكين -بأنّ هواء الأمسيّة ليس مناسباً لها .

هدأت الريح في غروب أحد الأيام، وأعلن يُوْرِيوَاكَهْ الذي

رأى جزيرة قريبة أن عليهم أن ينزلوا على تلك الأرض ويحتفلوا

بنصرهم .كانت واحدة من الجزائر الصغيرة، صغيرة جداً على أن

يستوطنها إنسان، في بحر جينكاي .



جُلبَ الطعام والخمر إلى الشاطئ، وأُوقدتْ نارٌ تلظّى .قعدَ الرجال حتى آخر الليل يحتسون الساكي ويحدقون إلى اللهب حالمين بمنازلهم .

سرح يُوْرِيوَاكَهْ في فكره حول السيدة كاسوجا- متذكراً جمالها البهيّ -وتنامي حزنها الأسيّ .

كان الرجال قد بدأوا بالغناء ورغب يُوْرِيوَاكَهْ فجأة أن يبقى وحيداً، وألا يسمع ضجة خلا صوت المويجات وهي تربت على الشاطئ الرمليّ .



استلقى يُوْرِيوَاكَهْ خلف جلمود على الشاطئ، مثبِّتاً قوسه

الحديدي فوق الرمال .خبا بريق النجوم قليلا عندما طلع البدر

" كاسوجا "همس باسم زوجته وهوى نائما .لحق الجميعُ

يُوْرِيوَاكَهْ إلى عالم حيث ترى دون بصر .وحدهما تارو وجيرو لم

يكونا من الجموع النائمين ولا من السكارى المخمورين كالبقية .

'سيكون المجدُ من نصيب يُوْرِيوَاكَهْ ' قال تارو موجهاً بصره

على البحر،' والعارُ من نصيبنا لخسارتنا سفينتينا .'

´سيكافئه الإمبراطور .سيجني الذهب والمكانة، ونحن ´...

تمتم جيرو .

´سننال من الذهب بقدر ما أقرض القمرُ الموجاتِ .´ أشارَ تارو

إلى انعكاس القمر الذهبي المنسكب على البحر .

´لو أن القراصنة قتلوا يُوْرِيوَاكَهْ فحسب ´ التفت جيرو وتهادى

حيث نام سيده.

´إذاً، سيكون الذهب والمجد من نصيبنا .´همس تارو عندما تبع أخاه .



′نائم وقد وصل في أحلامه سلفاً إلى قلعته مجدداً ′أشارَ تارو إلى

يُوْرِيوَاكَهْ .

′هذه الجزيرة صخرة غارقة بوَحْدتها وسط البحر؛ تزورها

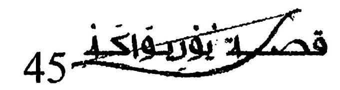
الطيور فحسب′.

قال تارو عندما انحنى قابضاً على قوس يُوْرِيوَاكَهْ

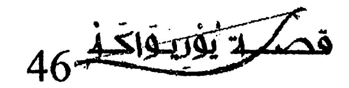
الحديديّ .

′حقاً .وأيٌّ من يُخلَّفُ هنا سيحتاج إلى أجنحة الطير أو رفقة

التنانين ليجد سبيل العودة .′



ابتسم جيرو وتمشّى الأخوان مبتعدين. عندما ارتفعت الشمس استدار يُوْرِيوَاكَهْ في نومه ليحمي عينيه من الضوء الساطع. مدَّ يده في كسل النوم نحو قوسه، لكن لم يجد إلا الرمل .نهض فجأة ووجد قوسه قد اختفى .وقف يبحث عن رجاله إلا أن الشاطئ كان خِلواً والبحر أيضاً .'تارو !جيرو '!صوَّت .ردد نورس طائرٌ فوق رأسه صرخاته، لكن ما من مجيب" .سفينتي"تمتم، ودعك عينيه .نظر إلى الجون حيث رست سفينته البارحة لكن لم يكن ثمة سفينة سوى المحيط اللا متناهٍ منبسطٌ على الأفق .





كانت الجزيرة أشبه بقمة جبل جليدي ناتئ فوق الماء .تسلقها

يُوْرِيوَاكَهْ بسرعة، وتمكّن من قمتها رؤية السفينة؛ جرت الريح بما تشتهي كيوشو وملأت الأشرعة المثبَّتة" .خونة "!صرخ بأعلى صوت، ولم تسمعه سوى سحلية تتشمس فوق صخرة .ومن المؤسف أن السحلية لم تفهم مراده ولم تكن لتكترث لو فهمته.

سلك يُوْرِيوَاكَهْ بأسى دربه نازلاً إلى الشاطئ مجدداً .انطفأت النار التي أوقدوها البارحة، وبرد رمادها' لو أنهم أبقوا لي قوسي في الأقل وسهمي 'فكَّر' لكان بإمكاني أن أصطاد طيراً .'

تلاشى المدُّ تاركًا خلفه بلحَ البحر يملأ الحصى' .كاسوجا'

همس باسم زوجته .حلمَ بها أثناء الليل، وفي نومه، ابتسمت له

ووجهها تكسيه الأحزان كما لو أنها عرفت مصيره .

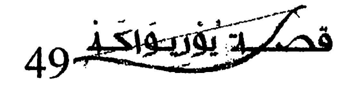
'لقد بذلنا قصارى جهدنا لننقذ سيدنا 'انحنى تارو بخنوعٍ .

'قاتلنا، أخي جيرو وأنا، كالأسود، لكنه كان محوَّطا بأعدائنا،

وعندما شققنا طريقنا إليه، كان '...توقف تارو ثم همس' ميْتًا .'!

نظر وزير اليسار إلى الشاب الذي كان جاثياً قُبالته .له سمعٌ لم

يكن مرهفاً كثيراً ليستطيع التمييز بين الكذب والصدق' .بُنيَّ



المسكين‘قال’ سأُعلم الإمبراطور بما جرى.’

’أخي وأنا مخلوقاتٍ حقيرة، كان ينبغي أن ننقذ قائدنا الشجاع’

سجدَ تارو أربع مرَّات ثم استأنفَ' خالجنا، بدافع العار، أن

'ننُهي حياتيْنا الخسيستين .وما كان قرار حفظ وجودنا التافه

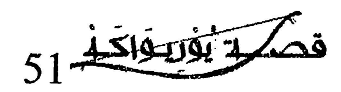
إلا بأننا من سيخبركما عن شجاعة ابنكم 'سجدَ تارو مجدداً

بتواضعٍ جم.

' إني على ثقة بأنك وأخيك قد بذلتما قصارى جهديكما 'أومأ

وزير اليسار كما لو كان يوافق نفسه' .سأُعلمُ الإمبراطور

بشجاعتيكما .'



سجد تارو مجددًا ثم زحف إلى الخلف خارجًا من الحجرة،

وساجدًا للمرة الأخيرة على عتبتها.

شابٌ فاضل، فكَّر وزير اليسار .وثمَّن تواضعه في نفسه .

'نصِّبه وأخاه حاكمين لبونغو 'أعلن الإمبراطور عندما

طرقت مسامعه قصة الحملة .لم يكن وزير اليسار سعيدًا بشأن

هذا، فهذا، رغم كل شيء، كان منصب ابنه .لكن عندما خلع

عليه الإمبراطور لقبَ" مستشار الإمبراطور الخاص الدائم"،

ونفقة مخصوصة به، والحقَّ في الوقوف في حضرة الإمبراطور؛

انفرجت أسارير الرضا في وجه .

كان يُوْرِيوَاكَهْ، في غضون هذه الأوقات، قد أصبحَ مولعًا

ببلح البحر، وقرر ألا يأكل قطعة أخرى أبدًا إذا ما أُنقذَ يوما .تسلَّق

يُوْرِيوَاكَهْ حتى قمة الجُبيل كل يوم، ومن ذروته يُمشِّطُ البحرَ

بناظريه .كانت الزرقة اللا منتهية، التي تلاعب الريح أعلاها

ويجلدها البياضُ بسوطه أحيانا منسدحًا عليها، على الدوام هي

ذاتها .لمحَ في مرة قاربًا لكنه كان بعيدًا جدًا، ومع ذلك فقد لبثَ في

مكانه متتبعًا إياه بعينيه حتى اختفى .شعرَ في تلك الليلة بوَحدةً مُضاعفة بسبب ذلك القارب الذي رآه .سيأتي بالتأكيد صيادٌ في يوم، فكَّر، لكن بمرور الأيام التي أضحت أسابيعَ، والأسابيعُ التي دارت شهوراً، انتابه شعور ضئيل بأنه سيُنقذ .صلّى للآلهة التي عرفها، حتى إنه ابتنى هيكلاً صخرياً صغيراً وخصَّ به الإله هاتشيمان .لكن سواء أنَّ الإله لم يسمع صلواته أو كان مشغولاً جداً ليكترث بشأنه، فما من قارب أو سفينة اقتربا من الجزيرة الصغيرة

سرعان ما أصبحت ثياب يُوْرِيوَاكَهْ الأنيقة خِرقاً، وطال شعره

ونبتت لحيّة كثةٌ على وجهه .وبدا أشبه بشيطان يُرعبُ به الأطفال

منه بشاب نبيل أبحرَ من كيوشو.





في بونغو، انتقل الأخوان، بيبو إلى قلعة يُوْرِيوَاكَهْ .لم يحبهما الخدم لكنَّ تارو وجيرو كانا السيدين، وقد يتذَّمر الخدمُ لكنهم اعتادوا الطاعة .توجَّب عليهما أن يكافئا رفاق السفينة على خيانتهم لسيدهم، أما أولئك الذين بقوا مُخلصين ليُوْرِيوَاكَهْ فقد كُتبَ عليهم القتل .

أُبقي على المسكينة، السيدة كاسوجا، كما لو أنها في سجن، وفي

خدمتها وصيفة واحدة .وبعد مضي بضعة شهور أعلن تارو عن

رغبته بزواجها .قالت السيد كاسوجا إنها لن تكون زوجة لأي

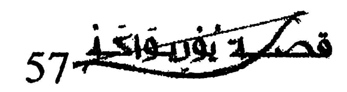
امرئ سوى يُوْرِيوَاكَهْ .شعرت متيقنة أنَّ زوجها ما يزال حيًّا، على

الرغم من أن تارو وجيرو أقسما بأغلظ الأيمان أنهما رأياه ميتا ودفناه

في شيراغي .

يُوْرِيوَاكَهْ زوجي وحتى لو كان ميتًا فما أزال زوجته 'أخذت

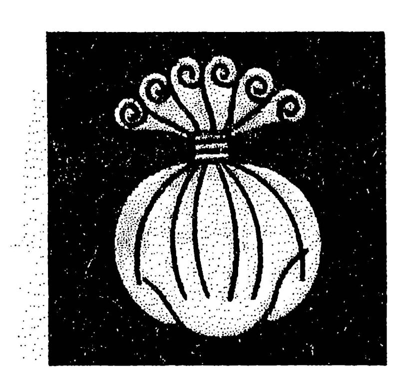
السيدة كاسوجا عهدًا على نفسها .لم يُعجب تارو هذا فصرَّح بأنه



سيد بونغو وعلى الجميع، بمن فيهم السيدة كاسوجا، أن يطيعوه .

حنت السيدة كاسوجا رأسها، وغادرت إلى حجرتها.

'يا لها من امرأة حرون 'قال جيرو لتارو .



'إنْ لم توجه حديثها إليَّ فسأرسلها إلى حيث لن تجد من تتحدثُ إليه .'أبان تارو وابنتي حبسًا حيث سجن السيدة كاسوجا ولم يسمح لها حتى بخادم .

تزايد يأس زوجها على الجزيرة أكثر فأكثر بمرور الأيام، واعتقدَ أنَّه لن يستطيع الخلاص منها أبداً .في كل ظهيرة كان يتسلَّق قمة الجُبيل آملاً أن تكون هناك سفينة بالقرب منه، لكنه كان يعود خائبَ الآمال كلَّ مرة .قعد في أحد الأيام مُجيًّلا بصره على البحر

الذي لا تحده نهاية، ولاحظ طائراً يُحلِّق عالياً في السماء" .هذا ليس

بنورسٍ ."فكَّر وقام .

"إنَّه بازٌ"صرخَ" آه لو يكون بازيّ ميدوري-مارو"

حلَّق الطائر حول الجزيرة كما لو أنه يبحثُ عن شيء ما،

وعندما تعرَّف على يُوْرِيوَاكَهْ؛ هبطَ إليه .

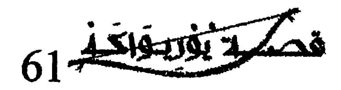
"ميدوري-مارو "همس يُوْرِيوَاكَهْ وحطَّ الطائر الحبيب على

كتفه .اخضلَّت عيناه وترقرق الدمع على خدَّيه .نظر الطائر إلى

سيده بعينين صلبتين، فالبيزان لا تبكي .

كان ثوب يُوْرِيوَاكَهْ هِدْماً .مزَّق رقعة مربعة صغيرة ثم كَلَمَ ذراعه حتى ثعَّ الدمُ، وكتب فوقها رسالة إلى زوجته .ثم ربط قطعة الكتّان الصغيرة حول قدم الباز، وقال رافعاً الطائر على يده "ميدوري-مارو، طِرْ إلى الوطن وأبلغ السيدة كاسوجا بهذه الرسالة لتعلم أنني ما زلتُ حيًّا أُرزقُ ."

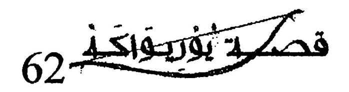
حدَّق الطائر سيده ببصره ثم بالسماء، وعلى الرغم من أنه كان متعباً فقد صفق بجناحيه ثم ارتفعَ عالياً شاقاً الهواء .



دارَ مرتين حول الجزيرة قبل أن يطيرَ فوق البحرِ قاصداً

الوطن .راقب يُوْرِيوَاكَهْ الطائرَ حتى أضحى نقطة صغيرة بين زرقة

البحر والسماء، واختفى .



مرةً كل أسبوع، كان تارو يتجه نحو السجن الذي ابتناه للسيدة كاسوجا حاملاً معه هدية، مرةً يحملُ زهرة وفي أخرى قطعة من المجوهرات .عندما يدخل إلى حجرة السيدة كاسوجا؛ يضع الهدية على الأرض أمامها ثم يطلب منها أن تتزوجه .تنظر السيدة كاسوجا بازدراء إلى ما جلبه وتستدبره .ومع إنه يعود خائباً في كلِّ

أسبوع، فقد ازدادت السيدة كاسوجا حُسناً وجمالاً في عينيه وتنامى

تصميمه على إجبارها لتكون زوجته .

في أحد الأيام بعد أن غادر تارو وقفت السيدة كاسوجا تحدَّق

عبر النافذة إلى الحائط العالي الذي أُبتنيَ حول سجنها .نظرت إلى

السماء وتنهَّدت، وجرفت الريحُ الغيوم الصغيرة التي كانت حُرَّة،

لكنها لم تكن كذلك .

يُوْرِيوَاكَهْ'همست وفتحت النافذة .هبط ظلٌّ من السماء وحطَّ

على حافَّة الشّباك .تراجعت السيدة كاسوجا إلى الوراء في رهبةٍ، لقد

كان الباز .

"ميدوري-مارو"هتفت وتقدَّمت إلى الطائر آخذةً إياها بين

يديها، شعرت برقعة الثوب مربوطة حول ساقه .أزالتها بعناية

وقرأت رسالتها" .إنه حيٌّ"همست" إنه حيٌّ ."!

"ميدوري-مارو، عد غداً حتى تحمل رسالة إليه ".رفعت السيدة كاسوجا الطائر على يدها ثم حدقت به ببصرها وهلةً ثم صفق بجناحيه وحلَّقَ مبتعداً .

عندما أدركت السيدة كاسوجا أن زوجها كتب رسالةً بدمه، وجدت أصغر مِحبرة حجرية، وفرشاة المِحبرة، وحبراً صلباً، ولفافة صغيرة من أجود ورق .حينما عاد ميدوري-مارو، لفَّت كلَّ هذه الأدوات حول ساقي الباز الصغيرتين وأمرته بالتحليق إلى يُوْرِيوَاكَهْ .



ارتفع الطائر بشجاعة، ضارباً بجناحيه القويَّين الهواء .على

الرغم من أنَّ أدوات الكتابة الصغيرة كانت ضئيلة الحجم وخفيفة

حتى ليخالَ المرء أنها تعود للأقزام، فقد كانت ثقلية على الباز.

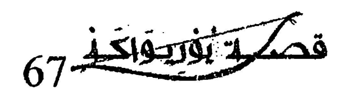
انخفض طيرانُ ميدوري–مارو أثناء شقِّه طريقه فوق البحر

تجاه الجزيرة، فنزلَ أكثر فأكثر حتى لامس جناحاه في آخر المطاف

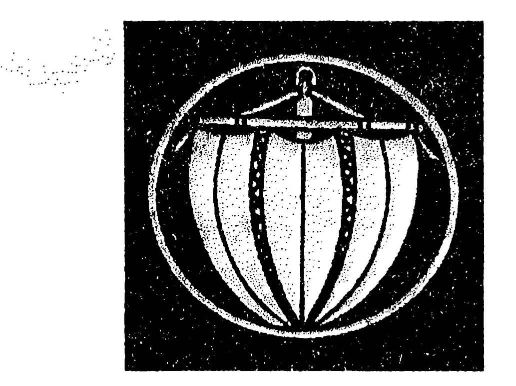
أعالي الأمواج تقريباً .وحينما أوشك على الوصول إلى الشاطئ

اقتربت مرتفعةً منه موجةٌ أكبر بقليل من بقية الموجات ولامست

الباز .حاول أن يرتفع إلا أن قواه قد خارت وسقط في الماء وغرق .



عندما نزل يُوْرِيوَاكَهْ إلى الشاطئ ليجمع بلحَ البحر وجد الطائر ميتا قد دفعته الموجات إلى رمل .حمل الطائر إلى المكان الذي خصصه للإله هاتشيمان .فكَّ المحبرة والفرشاة والورقة من ساقه؛ بمقدوره أن يكتب لزوجته الآن لكن ما من سبيل لإرسال الرسالة .

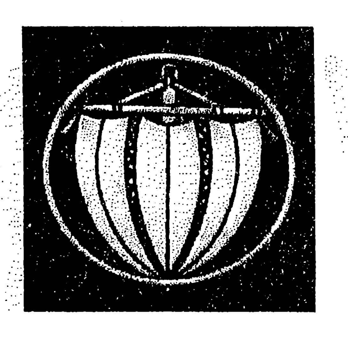




بالعودة إلى بونغو، قعدت زوجته جوار النافذة منتظرة عودة الباز .

لكنه انتظار بلا إثمار، فجناحا ميدوري-مارو السريعان لن يحملا

إليها أيَّ رسائل مجددًا .



استيقظ يُوْرِيوَاكَهْ في إحدى الصباحات سامعًا أصواتًا .اعتقد في

البداية أنه ما يزال يحلم ولم يتجرأ على فتح عينيه خشيةَ اليقظة .لكنه

سرعان ما أدرك أنه لم يكن في حلم؛ شخص ما كان يصرخ وليس

ببعيدٍ كثيرًا .استوى جالسًا .إنها تباشير الصباح .والكرة الذهبية لا

يزيد ارتفاعها عن البحر إلا قليلا .ركَضَ نازِلًا إلى الشاطئ وبالقرب منه لمحَ قاربَ صيد صغير .صوَّت يُوْرِيوَاكَهْ بأعلى ما يمكنه برهةً، في اهتياج، ونطَّ صاعدًا ونازلًا .

'شيطان '!صرخَ أحد الصيادَيْن مشيراً إلى ذاك المخلوق ذي المظهر الغريب الذي كان يؤدي رقصة مجنونة فوق الرمل .

'حيثما يوجد واحد؛ قد يُوجد غيره الكثير، ويقول بعضٌ إن باستطاعتهم الطيران في الهواء .دعونا نرفع شراعنا ونبتعد' اقترحَ شريكه .

لم يفهم يُوْرِيوَاكَهْ، الذي تمكَّن من سماع ما قالاه، أولَ الأمر أنه

كان الشيطان المُخِيف للصيادين .لكنه رأى أنهم استعدا للإبحار،

فزاد استقتاله' .ما أنا إلا بحَّار ناجٍ من أرض بونغو 'صرخ متضرِّعاً .

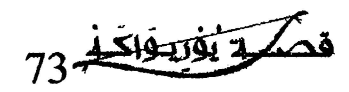
لقد حالفه حظه الآن لأنَّ الصيادين نفسيهما كانا من منطقة

بونغو، وحينما سمعا اسم وطنيهما، توقفا' من يحكم بونغو؟ من سيُّد

بونغو؟ 'سألاه .

'يُوْرِيوَاكَهْ ' أجاب الشيطان صارخا.'

' كان هذا منذ زمن بعيد ' ضحك الصيادان .



’يُوْرِيوَاكَهْ ميت .لا بد أنك على هذه الجزيرة منذ مدة طويلة.‘

’لمَّا يلمس شعري مشطٌ منذ سنة ولحيتي لم تُحلق .هل السيدة

كاسوجا حيَّة؟ .‘

’نعم، لكنها في السجن، لرفضها زواج سيدنا الجديد .‘

’ومن هو؟ ‘سأل يُوْرِيوَاكَهْ رغم شكوكه بأنه عرف الجواب .

’ تارو بيبو وأخوه، جيرو، حاكم بونغو .لقد كانا اللذان تغلَّبا

على أهل شيراغي، وأحلّا السلام على جزيرة كيوشو .‘

’ألم يفعل يُوْرِيوَاكَهْ ذلك؟ .‘



’لقد مات في شيراغي .يقولون إنَّه تلقَّى سمهاً في ظهره عندما

فرَّ هارباً .’ضحك الصيَّاد .

’هل ستعيدانني معكما إلى الوطن؟ لستُ شيطاناً .سأكافئكما

في بونغو .’

’سنأخذك معنا دون التفكير بالمكافأة’ تبسَّم الصياد وهو ينظر إلى هَدْمِ

يُوْرِيوَاكَهُ’ .بإمكاني أن أُعيرك ثياباً، ولن تكون مضطراً أن تذهب عارياً

إلى الشاطئ .’



شكر يُوْرِيوَاكَهْ الرجلين اللذين جرَّا قاربهما قريباً من الشاطئ

وسمحاه له بالركوب على متنه .انتابه شعور أنَّ من الأفضل ألا

يخبرهما حقيقة شخصه، وأن يلعب دور بحَّار ناجٍ .

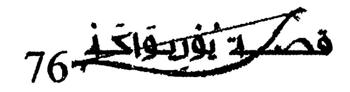
'هل بإمكانكما أن تنتظرا لحظة واحدة؟ 'توسَّل إليهما ثم ركض

على جناح السرعة إلى الهيكل الصغير الذي بناه .التقط مِحبرة زوجته

وأقفل مسرعًا إلى القارب .

"عندما يرى امرؤ المحاقَ الذي يصبح بدراً مراتٍ عديدة على

جزيرة كتلك 'قال يُوْرِيوَاكَهْ مومئاً إلى بقعة الجزيرة التي سرعان ما



تورات في أثر مويجات القارب،' فسيُرحِّب حتى برفقة الشيطان .'

ابتسم للرجلين اللذين أنقذاه وضحك الجميع .

حينما تراءى ليُوْرِيوَاكَهْ موطنه أخيرا مرتفعاً من البحر؛ أدار وجهه

بعيداً عن رفيقيه حتى لا يريا عينيه تغرورقان بالدموع .لكن كيف

له أن يستعيد قلعته؟ فقد كان أعزلَ !وترك سيفيه على متن السفينة

لأنه لم يرَ سبباً ليتسلَّح وقتها .لازمه فحسب قوسه الحديدي وقتاً

طويّلا لأنه لم ينفصل عنه قط .

لقد سرق تارو بيبو القوس وأدركَ يُوْرِيوَاكَهْ أن ملكية القوس

جعلت الجميع يصدِّقون وفاته حقاً .

كانَ من الصواب، حزم يُوْرِيوَاكَهْ أمره، أنه لم يدع أيًا كان أن يعرف

بعودته .ساعدَ الصياديْن في سحب قاربهما إلى الشاطئ ثم مشى

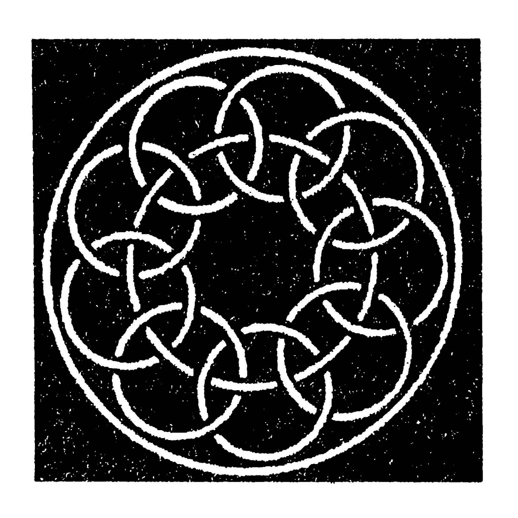
باتجاه القلعة التي كانت يومًا قلعته .

ميَّز قلّةً من خدمه؛ لقد تخلَّص الأخوان من أولئك الذين كانوا

مخلصين له .وقع بصره على أحدهم، ذاك الذي يتبختر كما لو كان

طاووسا على وشك أن يفرد ذيله، فكَّر يُوْرِيوَاكَهْ، بأنه زعيم الخونة .

بتواضع سأله فيما لو كان ثمة عمل يمكن أن يشغله .



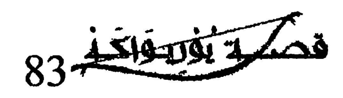
’في الإسطبلات ’تشمَّمَ" الطاووس "كما لو استنشقَ شيئًا كريهًا،



’هذا إنْ لم تُخِفْ الخيول .’

عمل يُوْرِيوَاكَهْ أسابيعَ في تنظيف الإسطبلات ومؤدياً أحقر الأشغال .واكتشف أين كانت زوجته محتجزة لكن المنزل كان محصَّناً جيداً .

وعندما تجرَّأ ذات مرة مقتربًا من الجدار؛ صرخ به جنديٌّ مطالبًا إياه بالعودة إلى بستان الكرز حتى يرعبَ الطيور لتبتعد . حقًّا، بدا يُوْرِيوَاكَهْ أشبه بفزَّاعة طيور منه برجل نبيل؛ لم يحلق شعره ولحيته، والثياب التي أقرضه إياها الصيَّاد لم تكن أفضل من هَدْمه إلا قليلا .



لاحظَ أنَّ خادما تجلب صينية طعام إلى السجن كل مساء،

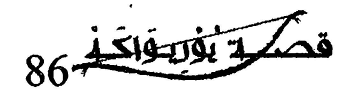
وتيقَّن بأنه لا بد أن تكون للسيدة كاسوجا .

حاول مرة أن يتحدَّث مع الخادم لكنه أخافها فحسب .

بقي يراقبها سراً كل مساء آملاً أن يتدبَّر بطريقة ما تمرير رسالة إلى زوجته .ابتسم الحظ في وجهه يوماً، فقد تأخرت الخادم الصغيرة، وتعثَّرت في عجالتها ووقعت تقريباً .

أسرعَ يُوْرِيوَاكَهْ لمساعدتها لكن لم يحدث شيء سوى وقوع الإبريق الخزفي واندلاق الساكي .

'أرجوكَ اعتنِ بالطعام حتى لا تقترب الطيور منه ريثما أملأ الإبريق مجددًا .'سألته الخادم، التي خافت من تأخُّرّها أكثر من يُوْرِيوَاكَهْ، وسلَّمته الصينية .



كان فوقها عديد الزبديات الصغيرة .رفع يُوْرِيوَاكَهْ أغطية جميعها، وفوق التي تحتوي الرز وضع المحبرة الصغيرة التي أرسلتها زوجته إليه .ثم أعاد الغطاء وانتظر عودة الخادم .

'إذا سألتك السيدة كاسوجا من الذي أمسك الصينية، فأخبريها أنه صاحب القوس الحديدي .'قال هذا وهو يُعيدُ الصينية الصقيلة إلى الفتاة .

لم تُجب الفتاة، لأنها وُبِّخت من الطبَّاخ الذي أخبرها في حالة

تكرر ما حصل سينحدر حالها إلى غسالة أطباق(ويا لتلك الأيادي

الحمراء اللائي يملكنها جرَّاء كشط قدور النحاس الكبيرة).

كانت الخادم لا تزال ترتعشُ عندما وضعت الصينية على

الطاولة أمام سيدتها .حتى السجناء يصيبهم الجوع؛ رفعت السيدة

كاسوجا أغطية الزبديات الصغيرة .

وحين وصلت إلى زبدية الرز؛ اندهشت من المحبرة السوداء

الصغيرة الموضوعة فوق الرز الأبيض .

´من لمس الطعام؟ ´سألت .

´لا أحد .´!كذبت الخادم التي كانت خائفة أن تصبح غسالة أطباق صغيرة بيدين قبيحتين .

´هل رأيت الطباخ يحضِّرها؟ ´سألت السيدة كاسوجا ورفعت المحبرة الصغيرة .

´أوه نعم، سيدتي ´سجدت الفتاة، التي كانت بجوار سيدتها، وتمنَّت لو لم تولد قط .



’إذاً، لا بد أن الطباخ قد وضع هذه المحبرة في الرز‘حدجت

السيدة كاسوجا الخادمَ .

’أوه لا ‘ !هتفت الفتاة، ثم مدركةً ما اقترفته، همست فورا ً’ أوه

نعم ‘مرة أخرى .

’ما الجواب" أوه نعم أم أوه لا"؟ .‘ابتسمت السيدة كاسوجا .

’من المُستحسن أن تُصدقيني القول .‘

'لقد وقعتُ .اندلق الساكي لذا فقد حثثت الخطى عائدةً إلى

المطبخ لأستزيده .

لقد كان الشيطان ماكثاً هناك، فسألته أن يعتني بالصينية .لا

بد أنه وضعها في الرز .سأخبر الطبَّاخ .'

'لن تفعلي ذلك 'قالت السيدة كاساوجا ووضعت المحبرة في

رُدن الكيمونو .



‘من هو الشيطان؟ ’سألت .



’جاء إلى بونغو من البحر .يطلق عليه الخدم الآخرون اسم

الفزَّاعة .أنا وحدي من يسميه الشيطان، لأني أخافه .شعره طويل

جدًا وأظافر أصابعه أشبه بالمخالب .‘

’هل قالَ هذا الشيطانُ شيئًا لك؟ أو ربما نفث النيران فحسب ."

ضحكت السيدة كاسوجا .

’أوه لا، لكني متأكدةٌ أن بمقدوره فعلها .قال إنَّ عليَّ إخبارك

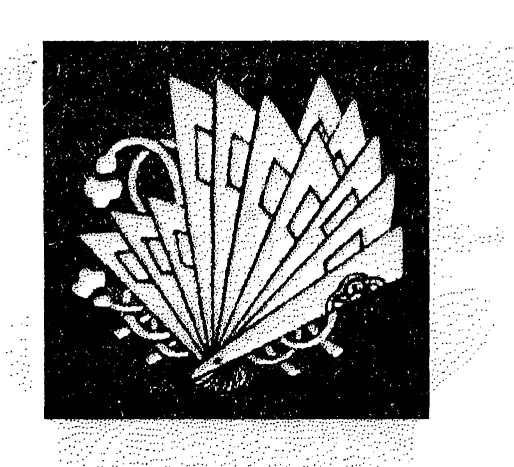
إذا سألْتني أنه كان" صاحب القوس الحديدي ."حمحمت الخادم

الصغيرة، فقد أشعرها ضحك السيدة كاسوجا بالأمان .



حين ذهبت الخادم، أخرجت السيدة كاسوجا المحبرة

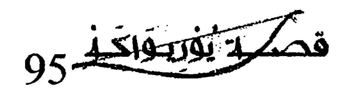
الصغيرة من ردن ثوبها الكومينو؛ نظرت إليها مليًّا وتنهَّدت .



عندما حلَّ الربيع وأزهرت أشجار الكرز، قرر الأخوان بيبو

أن يقيما مسابقة الرماية بالسهم .تدرَّب جميع شباب بونغو أسابيعَ

قبل المسابقة .تصيب سهام بعضهم قرص الهدف في كل مرة ومركز

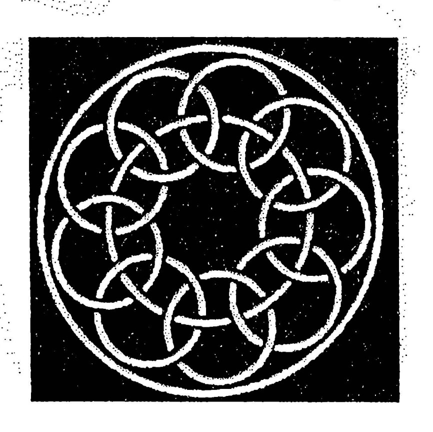


الهدف في بعضها، أما الآخرون فقد كانت سهامهم تسقط مثلما

الطيور العرجاء قبل أن ترتحلَ بعيداً .

قرر يُوْرِيوَاكَهْ المشاركة في المنافسة لكن لكونه من أوضع الخدم

مرتبةً فلن يُسمحَ له، ناهيك عن عدم امتلاكه قوساً وسهاماً .



كان مقررًا أن تُقام المنافسة في جُنينة المعبد قرب القلعة .احتشدَ جمعٌ عظيم من الناس ليشاهدوا، وكان ثمة أكشاك تُباع فيها الأطعمة وتمائم الحظ السعيد .عندما وصل يُوْرِيوَاكَهْ، اندهشَ عندما رأى قوسه وكنانته داخلها أربعة سهام موضوعةً على طاولة خلف الخط حيث شغل المتنافسون مواضعهم .

وصلَ الأخوان بيبو متَّبعيْنِ بمُرافقيهم .تمشَّى تارو متقدِّما جيرو بخطوة حتى لا يرتكب أحدٌ هفوة ويخال أنهما متساويا القدر والأهمية .قعدا فوق منصة خشبيّة مفروشة بسجاد قرمزيّ .قعد



مُرافقوهم الأقربُ ثقةً والمستشارون خلفهما في صفين، ضمَّ الصف الأول الأعلى مقامًا وقعدَ الأقلُ مقامًا في الآخر، مع ذلك فقد كانوا متباهين بكونهم مرافقي" الصف الثاني"التابعين للأخوين بيبو .

'نقيم منافسة على شرف يُوْرِيوَاكَهْ-سامهْ .لقد مضت اليوم سنة منذ أن عُدنا من حملتنا العظيمة إلى أرض شيراغي .

قضى قائدنا نحبه هناك وإجلالًا لذكراه؛ أهدي مسابقة المهارة إليه .قوسه السامي وكنانة سهامه وضعتهما فوق طاولة .وما من أحد سواه استطاعَ ثني القوس .'



قعد تارو بيبو، الذي وقف لإلقاء هذه الكلمة، مجددًا .كان في ثياب الأبهة والعظمة متقلِّدًا سيفًا ذا مِقبضٍ فضّيّ .

لاحظ يُوْرِيوَاكَهْ أنه ازداد وزنًا، وأصبح سمينًا .ممارسة السلطة لا تُرْشِق البدنَ، فكَّر .

من بين المنافسين الثلاثة الأوائل، واحد فحسب أصاب قرص الهدف؛ فحمحم المشاهدون، وكست وجوهَهم حُمرةُ الخزي .أما من تلاهم ثانيًا فقد كانوا أفضلَ واقترب سهم أحدهم من مركز الهدف .استذكرَ الجمعُ تلك المسابقة التي أُقيمت أثناء حياة

يُوْرِيوَاكَهْ وكيف أصاب مرةً مركز الهدف بسهمين، فلقَ السهم

الثاني أخاه الأول .

كان شيئاً ثميناً بالمشاهدة --أن يخبره المرؤ لأحفاده

شذَّب يُوْرِيوَاكَهْ شعره ثم حلقَ لحيته ذاك الصباح، لكنه لا

يزال يلبس الخرق وقبَّعة كبيرة أخفت سماته .

عندما أطلق آخر ثلاثة منافسين سهامهم التي طاشت بعيداً

عن الهدف أكثر من إصابته؛ مضى يُوْرِيوَاكَهْ قُدماً نحو الطاولة حيث

قوسه الحديدي مُلقًى .

حين أخذ يُوْرِيوَاكَهْ قوسه وسهما من كنانته؛ اخترق حشد الناس حفيفٌ مثل حفيف الريح حين تُلامس أوراق أشجار الغابة فجأة .انطلقَ السهم نحو قلب الهدف مباشرة، تبسَّم يُوْرِيوَاكَهْ .

أخذ السهم الثاني وسحب وتر القوس وتنهَّد الجميعُ فاغري الأفواه عندما فلق السهم الثاني أخاه الأول .

أخذَ بعدها السهمَ الثالث مستديرًا نحو المكان الذي يقعد فيه الأخوين بيبو، وسحبَ وتر القوس المشدود .

كان جيرو بيبو نصف واقف كما لو أنه أتى مقبلًا ليُحيِّي

يُوْرِيوَاكَهْ عندما أدركه السهمُ .أخذَ السهم الأخير من الكنانة، التي

أصبحت الآن خاوية على الطاولة .

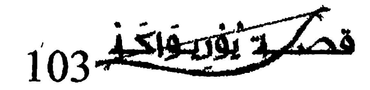
قعد تارو بيبو على أكمل وجه وما يزال محدِّقًا إليه، لكن وجهه

أبيض مثل وجه شبح

.صرخَ فجأة بعالي صوته حتى يتمكَّن الجميع من سماعه

'يُوْرِيوَاكَهْ–سامهْ '!ثم هوى على ناصيته –فقد أنهى السهم الرابع

الأخير حياته .



أنزل يُوْرِيوَاكَهْ القوس ثم خلع قبعته وطرحها على الأرض.

بإمكان الجميع الآن معرفة من كان، وتعالى الهتاف" يُوْرِيوَاكَهْ- سامهْ"!مالئا الأرجاء.

سجد مرافقو الأخوين بيبو على نحو محموم حتى بدوا مثل طيور جائعة تبحث عن ديدان.

تمنَّى كلُّ من كان في الصف الأول لو أنهم كانوا في الصف الثاني فحسب، وأصحاب الصف الثاني تمنَّوا لو أنهم لم يكونوا هناك إطلاقاً.



جُلبت السيدة كاسوجا من سجنها ودخلت وزوجها قلعتهما مرة أخرى .أُرسلَ رسول إلى نارا في صبح اليوم الثاني مُخبراً وزير اليسار بما حدث .

لستُ متأكدًا فيما لو أصبح يُوْرِيوَاكَهْ مستشار الإمبراطور الخاص الدائم مثلَ والده أم لا .ولا أدري ما الذي حلَّ بتلك الخادم الصغيرة .هل استطاعت أن تكون وصيفة السيدة كاسوجا الشخصية؟ أشكُّ بهذا لأنها كانت شيئًا ضئيلًا تافهًا .

كل ما أرجوه أنه لم ينتهِ بها الحال غسالة أطباق تقضي جُلَّ

يومها وسط قدور النحاس الكبيرة .

أُخبرتُ بأنَّ على جزيرة جينكاي ضريحًا شُيِّد لميدوري-مارو .

وحُفَظ قوسٌ في ضريح الإله هاتشيمان يدِّعي الناس أنه قوس

يُوْرِيوَاكَهْ .

لكن ألا تعتقدون أنَّ قوساً حديدياً مثل هذا قد تآكله الصدأ

منذ مدة مديدة جداً؟

